اسم الكتاب : Oman, A History

اسم المؤلف : By Wendell Philips

London, 1968

لعل وندل فيليبس يضيف فى كتابه هذا اضافة جديدة للمصادر التى تعرضت لداخلية عمان ، وهو يشابه فى ذلك چيمس موريس فى كتابه الذى أصدره قبل ذلك بسنوات بعنوان « سلطان فى عمان » . ولكن وندل فيليبس يدين برأى آخر وهو الأخذ بوجهة نظر السلطنة بالنسبة لسيطرتها على عمان الداخلية .

والمؤلف بحكم وظيفته مستشارا اقتصاديا لسلطان مسقط وبحكم جنسيته أيضا يتخذ هـذا الرأى ويبديه فى فصلين هامين من كتابه وهما الفصـل السابع الذى يعرض فيه الى مشكلة البوريمى والفصل الثامن الذى يتعرض فيه الى ثورة الجبل الأخضر .

وفى كلا الفصلين يؤكد سيطرة السلطنة على البوريمى وداخلية عمان ويتخذ موقفا معارضا للسـعودية فى تأييدها لثـورة الامامة وفى ادعاءاتها على واحات البوريمى داحضا بذلك جميع ما قدمته السعودية من أوله ومفندا ما قدمته شركة الزيت العربية الأمريكية من تأكيدات لصالح السعودية وذلك فى الأبحاث التى نشرتها خاصة بذلك .

والكتاب على الرغم من أننا لا نستطيع أن نسلم بوجهـة نظر مؤلفه التى يظهر فيها اتخاذه جانبا واحداً فضلا عما يتعمده من تضخيم شأن حادثة أو التهوين من شأن أخرى مما يجعل كتاباته تحتاج الى تحقيق فى وقائعها المختلفة الا أن الكتاب مع ذلك يعد فى تقديرنا الخاص واحداً من الدراسات الهامة عن تاريخ عمان اعتمد فيه على عدد كبير من المصادر الأولى ويزيد من أهمية ذلك رحلاته الكثيرة الى عمان الداخلية التى أفرد لها مؤلفا خاصا نشره فى عام ١٩٦٧ بعنوان Unknown Oman

وينقسم الكتاب الى تسعة فصول ، شملت الفصول السبع الأولى مسحا عاما لتاريخ عمان وعلاقته بشرق افريقية . فقد عالج فى الفصل الأول تاريخ عمان القديم قبل ظهور الاسلام ثم عمان فى العهد الاسلامى ، وهذا الفصل قد يهم بصفة خاصة المهتمين بالتاريخ الاسلامى بالنسبة لأحد أقاليم الجزيرة العربية . وقد ركز فى هذا الفصل على تزعم عمان حركة المعارضة ضد الدولتين الأموية والعباسية وظهور هذه المعارضة فى شكل حركتين سياسيتين دينيتين لقيتا انتشاراً كبيراً فى عمان وهما الحركة الأباضية التى قدر لها أن تلعب دوراً هاما فى تاريخ عمان القديم والحديث وحركة القرامطة التى امتدت من البحرين الى عمان وان كانت لم تصب قدراً من النجاح مثلما أصابته الحركة الأولى . وفى هذا الفصل يركز المؤلف أيضا على اقليم ظفار ويبدو من تأكيده على تاريخ الاقليم فى أكثر من فصل من فصول الكتاب أنه جزء لا يتجزأ من عمان . ولعـله يتعمد ذلك مناهضة للدعوة التى ظهرت فى الأونة الأخيرة بشأن ضم ظفار الى جمهورية جنوب اليمن المستقلة حديثا .

أما الفصل الثانى فقد عالج فيه المؤلف الامبراطورية العمانية فى شرق افريقيا وقد عنى بصفة خاصة بتتبع مراحل انشائها مشيرا بصدد ذلك الى الهجرات العربية على الساحل الشرقى لافريقيا ومعتمدا على كتابات المصنفين العرب التى يفهم منها مدى ما كان عليه العرب من تفوق ملاحى وتجارى فى المحيط الهندى ، وان كان غزو البرتغال فى نهاية القرن الخامس عشر قد أطاح بهذا التفوق . وقد استمر البرتغاليون القوة المسيطرة فى الخليج وشرق افريقيا حتى بداية القرن السابع عشر حينما بدأوا يتعرضون لتحديات قوية من قبل الهولنديين والانجليز بالاضافة الى أن قوتهم الذاتية تعرضت للاضمحلال وأصبح المجال ميسرا للامام ناصر بن مرشد الذى أسس الأسرة اليعروبية لطرد البرتغاليين من عمان ، ثم يكمل خليفته سلطان بن سيف الدور الذى قام به فى التخلص من بقايا السيطرة البرتغالية فى الخليج وشرق افريقية .

ثم ينتقل المؤلف فى الفصول التالية الى تأسيس أسرة البوسعيد وهى الأسرة التى خلفت أسرة اليعاربة فى الحكم عارضا بصفة خاصة لأقوى حكامها سعيد بن سلطان أو ما أسماه سعيد الكبير اذ أفرد له فصلا خاصا معتمدا فيه على مؤرخى سيرته من العرب والسواحليين والأوربيين ويتفق مع هؤلاء فى أنه كان واحدا

من أهم الشخصيات التى أنجبتها الجزيرة العربية منذ عهد النبى . ويؤكد بصفة خاصة على الدور المجيد الذى قام به بشأن التشريعات التى أصدرها للحد من تجارة الرقيق فى الممتلكات التابعة له ، وان كنا نجد تحاملا واضحا من المؤلف على القسوة والعنف التى أدان بها التجار العرب بالنسبة لمعاملتهم لارقائهم اذ رسم صورة كئيبة لوسائل تعذيبهم ولأسواق الرقيق التى كانت منتشرة فى كل من مسقط وزنجبار . ولذلك فقد أثنى على السيد سعيد تعاونه مع الانجليز للحد من تجارة الرقيق على الرغم من أنه كان يعد أكبر تاجر رقيق فى عصره ، وقد استمرت التجارة قائمة فى الشرق الافريقى حتى أوائل القرن الحالى وان كان ذلك على نطاق محدود وغير رسمى .

ولم يكن ما تميز به سعيد بن سلطان من السجايا الانسانية قاصرا على الحد من هذه التجارة البشعة وانما تميز الرجل بسماحته واستنارته ، وكان ذلك عونا لدفع عمليات التبشير والارتياد الأوربى اذ تحققت فى عهده عدة اكتشافات جغرافية هامة كاكتشاف الأوربيين لجبال كينيا وكليمنجارو والبحيرات الاستوائية ، كما اشتهر فى عهده المبشر لوديج كرايف الذى يقترن اسمه بترجمة الانجليل الى اللغة لسواحلية .

ويمضى الكتاب بتتبع تاريخ عمان بعد انفصاله عن زنجبار حتى يركز على الحدثين الهامين اللتين شهدتهما عمان فى الآونة الأخيرة وهما المشكلة الخاصة بالبوريمى ثم انفجار ثورة الامامة الأباضية فى عمان الداخلية .

وكما سبق أن ألمحنا فى بداية عرضنا للكتاب أن المؤلف يأخذ وجهة نظر السلطنة من ذلك تأكيده أن اتفاقية السيب المؤرخة فى عام ١٩٢٠ والتى ارتكزت عليها الامامة فى مرحلتها الأخيرة كانت اتفاقية بين حكومة السلطان تيمور وبين ثمانية عشر من الشيوخ الثائرين فى الداخل ، ولا تعنى اطلاقا أنها تربط خلفاء السلطان تيمور بها وهذا الرأى سبق لنا أن ناقضناه فى بعض دراساتنا .

أما البوريمى فيؤكد المؤلف خضوعها لعمان استنادا على الأصول التاريخية التى تربط الاقليم بعمان . ويبدو من كتاباته اعتماده فى جانب كبير على تفنيد عرض الحكومة السعودية للتحكيم فى تسوية النزاع الاقليمى بين مسقط وأبو ظبى وبين المملكة العربية السعودية وهى مجلدات ثلاث قدمتها الحكومة

السعودية فى عام ١٩٥٥ لمحكمة العدل الدولية عند مناقشة المشكلة فى ذلك العام ، وأخذه بوجهة نظر المذكرة البريطانية المقدمة من قبل الحكومة البريطانية معارضة للادعاءات السعودية .

ويؤكد وندل فيلبس بصدد ذلك على تبعية البوريمى لعمان منذ العصور الاسـلامية وعن استقرار قبيلة النعيم التى هاجرت من اليمن الى البوريمى فى النصف الأول من القرن السادس عشر وعن ارتباط البوريمى بعمان خلافا لبعض الفترات التى تعرضت فيها الواحة للمناوشات السعودية عقب انتشار الدعوة الوهابية بين سكانها خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر الى أن خضعت الواحة لحكومة مسقط فى عهد امامة عزان بن قيس ١٨٦٨/ ١٨٧١ . ولم يلعب السعوديين دورا يذكر فى تاريخ الواحة من ١٨٦٩ حتى ١٩٥٢ باستثناء بعض الفترات التى قام بها عبد الله بن جلوى الحاكم السعودى فى الاحساء بارسال عملائه لجباية الزكاة .

ويذهب المؤلف فى رأيه أن تضخم مشكلة البوريمى ترجع الى تصادم المصالح الاقتصادية فضلا عن أن المشكلة ظهرت فى وقت ما فى صورة صراع بين القومية العربية وبين الامبريالية خاصة وأن اذاعة القاهرة لعبت دورا بارزا خلال هذه الأزمة .

أما دراسة فيليبس لثورة الجبل الأخضر ، فاعتقادنا الشخصى بصرف النظر عن نوازع المؤلف أو أراءه فيما يختص بهذه الثورة ، انها تضيف اضافة جديدة للمتتبعين لتاريخ الامامة خاصة وأن اهتم اهتماما كبيرا بتفصيل الصراعات الداخلية بين الهناوية والنافرية وبعض رؤساء المقاطعات العمانية كسليمان بن حمير وصالح بن على ... هؤلاء الذين كانوا ــ كما يقول المؤلف ــ يأملون فى استغلال الموقف لتحقيق ملك مستقل عن الامامة والسلطنة معا .

وقد ذيل المؤلف كتابه ببعض الملاحق أهمها قيام الثورة فى زنجبار فى ديسمبر سنة ١٩٦٣ التى أدت الى انهيار وضع سلطنة زنجبار وقيام الجمهورية ، ولعله

تعرض لهذه الثورة باعتبارها انهياراً لأحد فرعى أسرة البوسعيد على الرغم من تسليمه بأن الصلة قد انقطعت بين الفرعين تماما منذ تحكيم كانتج عام ١٨٦٦١ .

كما وضع المؤلف دراسة للارساليات التبشيرية فى شرق افريقية والجزيرة العربية وقد ركز بصفة خاصة على الدور الذى قام به المبشر الأمريكى صمويل زويمر Zwemerفى عمان وبعض امارات الخليج العربى . وقد عنى بصدد ذلك بتحليل أسباب نجاح عمليات التبشير فى شرق افريقية وأسباب فشلها فى الجزيرة العربية باعتبارها كانت ـ ولا تزال ـ مهد للاسلام .

د . جمال زكريا قاسم